مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(رومية ١٠:١-١٠)

يا إخوةُ إنَّ بغيةَ قلبي وابتهالي إلى اللهِ هما لأجلِ إسرائيلَ لخلاصه* فإنّي أشهدُ لهم أنَّ فيهم غيرةَ للهِ إلاَّ أنَّها ليست عن معرفة* لأنَّهم إذ كانوا يجهلونَ برَّ اللهِ ويطلبون أن يُقيموا برَّ أنفُسِهم لم يخضَعوا لبرّ الله* إنَّما غايةُ الناموسِ هي المسيحُ للبرِّ لكلِّ مَن يؤمن* فإنَّ موسى يصِفُ البرَّ الذي من الناموسِ بأنَّ الإنسانَ الذي يعمَلُ هذه الأشياءَ سيحيا فيها* أمَّا البرُّ الذي من الإيمانِ فهكذا يقولُ فيهِ لا تقُلْ في قلبِكَ مَن يصعدُ إلى السماءِ. أي ليُنزلَ المسيحَ* أو مَن يهبطُ إلى الهاوية. أي ليُصعِدَ المسيحَ من بينِ الأمواتِ* لكن ماذا يقول. إنَّ الكلمةَ قريبةٌ منكَ في فمِكَ وفي قلبِكَ أي كلمةَ الإيمانِ التي نبشِّرُ نحنُ بها* لأنَّكَ إن اعترفتَ بفمِكَ بالربِّ يسوعَ وآمنتَ بقلبِكَ أنَّ اللهَ قد أقامَهُ من بينِ الأمواتِ فإنَّكَ تخلُصُ* لأنَّهُ بالقلبِ يؤمَنُ للبرّ وبالفمِ يُعترفُ للخلاص.

حول الرسالة

النص الذي يُتلى على مسامعنا اليوم من الرسالة إلى أهل رومية مستقى من مقطع طويل في هذه الرسالة يتألف من الإصحاحات ٩-١١، وفيه يتقصى الرسول بولس موقع الشعب اليهوديّ في تاريخ الخلاص إنطلاقاً من رفض كثر من اليهود الإيمان بيسوع. وليس غريباً أن يعالج بولس هذا الموضوع مرتكزاً على الموقف الذي دافع عنه طوال حياته، وهو أنّ البرَّ الحاصل للأمم، أي للشعوب الوثنيّة، ليس ناشئاً من أعمال الناموس اليهوديّ بل من نعمة الله المجانيّة التي عبّرت عن ذاتها بموت يسوع وقيامته من بين الأموات. والمعروف أنّ هذا الموقف استتبع لدى بولس أنّه رفض أن يملي على الوثنيين المرور باليهودية عبر الختان شرطاً للإيمان بيسوع مسيحاً ومخلّصاً، معتبراً أنّ الله يبرّر الوثنيين، أي أنّه يحلّهم من خطيئتهم فيصيرون أبراراً في عينيه، لا بعمل الختان الصائر في الجسد، بل بعمل الإيمان الصائر في القلب.

في هذا المقطع، يفصح بولس أوّلاً عن ألمه حيال موقف اليهود بني جنسه الذين لم يؤمنوا بالمسيح، وعن رغبته العميقة في أن ينالوا الخلاص عبر اهتدائهم إلى السيد، كما اهتدى هو إليه. ولا ينكر بولس إعجابه بحماس إخوته في الجسد وما هم عليه من حميّة لله يستمدّونها، على الأرجح، من قراءتهم الكتاب المقدّس وما يرويه من أحداث عن الله الذي أظهر ذاته لآبائهم في الماضي. غير أنّ بولس يحتسب هاتين الحماسة والغيرة مبنيَّتين على «غير معرفة» (رو ١٠:٢)، ثم ينتقل إلى شرح الأسباب التي تسوقه إلى مثل هذا الاستنتاج. الواقع أنّ اليهود الذين لم يعتنقوا الإيمان بيسوع غافلون، في رأي بولس، عن حقيقة مركزيّة هي أنّ الناموس الذي أُعطي لآبائهم ليس هدفاً في ذاته، بل هو، إذا جاز التعبير، كالنهر الذي يصبّ في بحر أوسع منه، أي أنّه يهدف إلى الإيمان بيسوع بوصفه مسيح الله (رو ١٠:٣-٤). في موضع آخر، أي الرسالة إلى أهل غلاطية، يعبّر بولس عن اقتناعه هذا بقوله إنّ الناموس كان مجرّد «مؤدّب» يقود إلى المسيح (غلا ٣:٢٤). ويستفيض بولس هناك في عرض حجّته مظهراً كيف أنّ البرّ الذي حُسب لإبرهيم في العهد القديم لم ينتج

العدد ٢٠٠٤/٢٧

الأحد ٤ تموز

تذكار أبينا الجليل في القديسين إندراوس الأورشليمي رئيس أساقفة إقريطش (كريت)

اللحن الرابع

إنجيل السَحَر الخامس

الإنجيل

(متى ٨: ٢٨–٣٤؛ ٩:١)

في ذلك الزمان لمَّا أتى يسوعُ إلى كورَةِ الجُرْجُسِيينَ استقبلهُ مجنونانِ خارجانِ مِنَ القبورِ شَرِسانِ جدًّا حتى إنَّهُ لم يكنْ أحدٌ يقدِرُ أن يجتازَ من تلكَ الطريق* فصاحا قائلَيْنِ ما لنا ولك يا يسوعُ ابنَ الله. أجِئْتَ إلى ههنا قبل الزمانِ لِتُعَذِّبنا* وكان بعيداً منهم قطيعُ خنازيرَ كثيرةٍ ترعى* فأخذ الشياطينُ يطلبون إليهِ قائلينَ إنْ كنتَ تُخرجنا فائْذَنْ لنا أن نذهَبَ إلى قطيعِ الخنازير* فقال لهم اذهبوا. فخرجوا وذهبوا إلى قطيعِ الخنازير. فإذا بالقطيعِ كلِّهِ قد وثبَ عَنِ الجُرْفِ إلى البحرِ وماتَ في المياه* أمَّا الرُّعاةُ فهربوا ومضوا إلى المدينةِ وأخبروا بكلِّ شيءٍ وبأمرِ المجنونَين* فخرجَتِ المدينةُ كلُّها للقاءِ يسوعَ. ولمَّا رأوهُ طلبوا إليهِ أن يتحوَّلَ عن تُخومهم* فدخل السفينةَ واجتازَ وأتى إلى مدينتهِ.

تأمل

إذا كان يجب في مداواة الأجسام البشرية أن يكون الطبيب ماهراً والمريض مطاوعاً ونحن قد علمنا قدرة الشافي لأمراضنا والحامل لأوجاعنا فكم يجب أن ننتصب لطاعة أوامره ونبادر إلى قبولها

من ناموس موسى، فإبرهيم عاش قبل موسى بمئات السنين، بل من إيمانه بأنّ الوعد الذي قطعه الله له سيتحقّق. المهمّ بالنسبة إلى الرسول أنّ هذا الوعد الذي تبرّر إبرهيم بإيمانه به كان يشتمل على أنّ كلّ قبائل الأرض، لا نسل إبرهيم المباشر فحسب، ستتبارك (غلا ٣: ٦–٩). هذه البركة، في رأي بولس، لم تتحقّق بالناموس، بل بيسوع الذي تطال البشارة به الشعوب جميعاً. وبما أنّ إبرهيم تبرّر بإيمانه قبل الناموس، فإنّ الوثنيّين لا يحتاجون إلى الناموس ليتبرّروا وليسوا مضطرّين إلى أن يختتنوا، إذ هم يصبحون أبناء حقيقيّين لله بمجرّد إيمانهم بيسوع وبأنّ بركة الله لكلّ الشعوب، التي وُعد ابرهيم بها، تتحقّق بيسوع: «أرسل الله ابنه... لننال به التبنّي» (غلا ٤: ٤–٥). البرّ، إذاً، لا يأتي من تطبيق أحكام الشريعة، بل من الإيمان بيسوع.

في ما تبقّى من نصّ الرسالة ينصرف الرسول بولس، إذا جاز التعبير، إلى وصف الآليّة التي ينشأ هذا الإيمان عبرها مستنجداً بآية من العهد القديم. فكتاب تثنية الاشتراع يقول إنّه لا يسع الشعب أن يتحجّج بأنّه لا يعرف وصيّة الرب، فـ«الكلمة قريبةٌ منك جداً في فمك وفي قلبك» (تثنية ٣٠: ١١–١٤). ولكن كلمة الله الأخيرة بالنسبة إلى بولس الرسول ليست وصايا العهد القديم المعبّر عنها في كتاب التثنية، بل كلمة البشارة بيسوع التي يحملها الرسول إلى الناس. معنى عبارة «الكلمة» هذا نجد له صدًى في إنجيل لوقا الذي يقول كاتبه إنه استقى معلوماته من الذين كانوا «معاينين وخداماً للكلمة» (لو ١:١–٤) وفي إنجيل يوحنا الذي يسمي الإبن المتجسّد «كلمة» (يو ١:١). كلمة الله في فكر بولس، إذاً، هي كلمة البشارة بيسوع التي ينقلها الرسول والتي تستدعي الإيمان لدى السامع: «الكلمة أي كلمة الإيمان التي نكرز بها» (رو ١٠:٨). فإذا صدّق السامع، سواء كان يهوديّاً أم وثنياً، هذه الكلمة نال الخلاص.

هذا التصديق يستوجب أن يعلن الإنسان بفمه أنّ يسوع ربّ وأن يؤمن بقلبه أنّ الله اقامه من الأموات، فيؤول هذا إلى أن يرى اللهُ فيه إنساناً مخلَّصاً مبرَّراً، أي محلولاً من الخطيئة (رو ٩:١٩–١٠). الجديد الصائر في يسوع، إذاً، بالمقارنة مع أعمال الله في العهد القديم وشرائعه هو حدث موت يسوع وانتصاره على الموت بالقيامة. من الملاحظ تشديد بولس هنا على ضرورة إعلان ربوبيّة يسوع بالفم. فالإيمان القلبيّ بالقيامة الذي لا يجد له تعبيراً منظوراً بالكلمة يظلّ غير كامل، لا سيّما أنّ «ربّ» الدولة الرومانيّة بامتياز كان الإمبراطور. المؤمن بيسوع في قلبه يعلن بفمه أنّه لا يستمدّ حياته من «أرباب» هذا العالم، أباطرةً كانوا أم ملوكاً أم حكّاماً أم وجهاء أم رأسماليّين، بل من يسوع ومنه وحده. «كلمة» الله، إذاً، التي تضحي «كلمة» يبشّر بها الرسول تقتضي من المؤمن أن يفصح عن فعلها في نفسه أيضاً عبر «كلمة» الإعلان أنّ يسوع وحده ربّ رغم ما يعتقده «أرباب» هذا العالم المزيّفون أنّ «الكلمة» الأخيرة هي لهم في صنع الحاضر والمستقبل.

يضاف إلى هذا التداخل بين القلب والفم أنّ الرسول بولس في موضع آخر، حتى لا يُفهم تشديده على الإيمان بإزاء أعمال الناموس أنه تفلت من كلّ عمل صالح، يؤكّد أنّ الإيمان يجب أن يكون عاملاً بالمحبّة (غلا ٥:٦). هكذا نخلص إلى الاستنتاج أنّ فعل الإيمان بيسوع يستغرق الكيان الإنسانيّ بأجمعه.

والقيام بها ونتعلَّم منهُ قوانين المداواة الروحيَّة ومنافع الأدوية السماوية لنقتدر على معالجة الأمراض الشيطانيَّة وننقذ المؤمنين من عذابها ونستحقَّ أن يمسك بأيدينا ويشفي أمراضنا وينشلنا من أعماق الرذائل. وإذا كان الذين يتعلمون العلوم الدنيويَّة يحتاجون في إثباتها إلى المذاكرة والتكرار وملازمة الدرس ليلاً ونهاراً، وكل ذلك لأجل ضبط الألفاظ وتحرير المعاني وإيضاحها وتقريرها في الأذهان، وكذلك الذين يغرسون الحقول ويزرعون الأراضي يحتاجون في اخصابها إلى التعهُّد بالسقي والقيام بخدمة الأرض الواجبة لها، وإلاَّ فالذين يتعلَّمون يُضيِّعون أتعابهم وأوقاتهم والذين يغرسون ويزرعون يخسرون خراج الأرض وكُلَفها، فكذلك الذين يسمعون المواعظ ويتعبون في استماع التعاليم الإلهيَّة ينبغي لهم أن يحفظوها ويكرّروها لكي تثبت في أذهانهم وتعطي ثمراً صالحاً. وعلى ذلك قول الرسول كونوا فَعَلَةً للناموس ولا تكونوا مستمعين فقط. لأن الذي يسمع ولا يعمل بما سمعه يشبه الرجل الذي ينظر وجهه في المرآة فإنه عند رفعه إياها ينسى المثال الذي نظرهُ فيها ويكون

فهو يتحقّق في القلب بعدما تلتقط الأذن كلمة التبشير. لكنّه لا ينحصر في القلب، بل يعلنه اللسان إلى الخارج، ويفصح عنه العقل والجسد والوجدان والشعور عبر العمل المحبّ الذي يمتدّ إلى الآخر. إنّ الإيمان بيسوع فعل يشمل الإنسان في كافّة أبعاده.

العظة على الجبل

العظة على الجبل هي العبارة التي تُطلق على الإصحاحات ٥ و٦ و٧ من إنجيل متى الرسول، وفيها يجمع الإنجيلي متى الوصايا التي أعطاها الرب يسوع في مراحل مختلفة من فترة بشارته للذين يرغبون أن يحيوا في ملكوت الله أو بحسب هذا الملكوت. وقد سُمّي هذا القسم التعليمي «العظة على الجبل» كونها تبتدئ بـ«ولما رأى (يسوع) الجموعَ صَعِدَ إلى الجبل. فلمَّا جَلَسَ تقدَّم إليه تلاميذه ففتح فاه وعلَّمهم قائلاً...» (متى ١:٥-٢)، ولكون الجبل يرتدي أهميَّة كبرى لدى الإنجيلي متى. فالجبل يدل على الارتقاء نحو العلى، نحو الملكوت السماوي.

«العظة» هي القسم الأول والأطول بين الأقسام الخمسة التي جمع فيها الإنجيلي متى تعليم الرب يسوع. فيها يعلم يسوع أتباعه كيف يجب أن يسلكوا، ليس وفق قواعد معيَّنة جامدة، بل عن طريق تغيير داخلي جذري في المواقف والتطلعات.

في القسم التعليمي الثاني (متى ٣٥:٩ – ٤٢:١٠) يوضح الرب للرسل مهمتهم البشارية بالملكوت وما سيلقونه من اضطهاد بسبب خدمتهم كلمة الرب. المهم أن يثقوا بعناية الله بهم دون خوف.

القسم الثالث هو أمثال ملكوت الله الموجودة في الإصحاح الثالث عشر. في هذا القسم يفصل الرب بين الذين جاؤوا بسبب المعجزات والذين أتوا لاحقاً ليتعلموا فينقلهم إلى المعنى الأعمق لهدف بشارته ألا وهو الحصول على الملكوت. معظم هذه الأمثلة تتحدَّث عن الزارع لأن الشعب كان يعمل بالزراعة وبالتالي سوف يفهم قصد الرب. القسم الرابع هو في الإصحاح الثامن عشر وفيه يوضح الرب لتلاميذه وللكنيسة كيف يجب أن يعيشوا مع بعضهم في تواضع وغفران دائمين. إنه نظام حياة الكنيسة، جماعة الله، فيه نرى أن مبادئ ملكوت الله تختلف عن مبادئ العالم.

أما القسم الخامس والأخير (متى ٢٤ و٢٥) فهو تعليم عن نهاية الأزمنة ودمار هيكل أورشليم وموت الإنسان. ويُنهي هذا التعليم بالدعوة للسهر لأن لا أحد يعرف متى يكون المنتهى، ويوضح هذه الدعوة بثلاثة أمثلة: العذارى العشر (٢٥:١-١٢) والوزنات (٢٥:١٤-٣٠) وخراف اليمين وجداء اليسار (٢٥: ٣١-٤٦).

يُقدِّم الإنجيلي متى للعظة على الجبل بقوله «وكانَ يسوعُ يطوفُ كلَّ الجليلِ يُعلِّمُ في مجامعهم ويكرزِ ببشارةِ الملكوتِ» (متى ٢٣:٤). الملكوت هو الهدف النهائي الذي يريد أن يوصلنا إليه الرب. بعدها يسرد متى وصايا الرب وكيف يجب أن يحيا أبناء الملكوت وهم على الأرض لكي يستحقوا أن يكونوا من أبناء ملكوت السموات. هذه الوصايا مهمَّة لدرجة ان الرب يسوع ينهيها على لسان متى الإنجيلي بقوله: «ليسَ كلُّ مَنْ يقولُ لي يا ربُّ يا ربُّ يدخلُ ملكوتَ السمواتِ بل الذي يفعلُ إرادةَ أبي الذي في السموات» (متى ٢١:٧). هذه الإرادة التي أوضحها في الإصحاحات ٥ و٦ و٧. ثم يردف بالقول «فكلُّ مَنْ **يسمعُ** أقوالي هذه **ويعملُ** بها أُشبِّهه برجلٍ عاقلٍ بنى

كالذي بنى بيته على الرمل كما قال الكتاب الإلهيُّ من يسمع كلامي هذا ولا يحفظهُ يشبه رجلاً جاهلاً بنى بيتهُ على الرمل. فإنه إذا هبَّت الرياح ونزلت الأمطار وجرت الأنهار وصدمت ذلك البيت سقط وكانت سقطتهُ عظيمةً لأن أساسهُ كان على الرمل. ويقول أيضاً مَن منكم حكيمٌ فليُرني حسن أعمالِه من تصرُّفِه بتهذيب الحكمة. ولأجل ذلك لا أكفُّ عن تذكيركم وتنبيهكم ومفاوضتكم في ما يجب حتى أراكم ذاكرين دروسكم حافظين تعاليمكم عاملين بأقوال ربكم متغايرين على عمل الفضائل مبتعدين عن طرق الرذائل لكي أسرَّ أنا بحسن أعمالكم وأبتهج بجميل مجازاتكم وأفرح بدخولكم مساكن النعيم. فإن قلتم وما الذي يدلُّ على ذلك من أعمالنا قلت هو أن أراكم مُحبِّين لعمل الفضائل كالصلاة والصوم والصدقة والرحمة والمحبة وأمثال ذلك، ومبغضين للرذائل كالغضب والحسد والنميمة وحبّ المال الذي هو سببٌ لتولُّد الشرور كلها وأداةٌ لعمل الهالكين. فسبيلنا أن نقتفي آثار الأفاضل ونُعرِض عن مسلك الأراذل ونتمسَّك بوصايا إلهنا المفيدة الحياة طائعين لكي ننال ملكوت ربنا.

القديس يوحنا الذهبي الفم

بيته على الصخرِ. فنزلَ المطرُ وجاءتِ الأنهارُ وهبَّتِ الرياحُ ووقعت على ذلكَ البيتِ فلم يسقط، لأنَّه كان مؤسَّساً على الصخرِ» (متى ٧:٢٤–٢٥).

في العظة على الجبل يوجِّه الرب يسوع تعليمه إلى التلاميذ والجموع والكنيسة على حد سواء. صحيح أننا نقرأ في بداية العظة «فلمَّا جلسٍ تقدَّم إليه تلاميذه ففتح فاه وعلَّمهم» (متى ٥: ١و٢)، إلا أننا نقرأ في نهاية العظة «فلمَّا أكملَ يسوعُ هذه الأقوالَ بُهِتَتِ الجموعُ من تعليمه لأنَّه كان يعلِّمهم كمَنْ لهُ سلطانٌ وليسَ كالكتبَةِ» (متى ٧: ٢٨ و٢٩). ما تفوّه به الرب للرسل موجّه لكل واحد منا، لذا رأينا الرب يتحدث إلى التلاميذ والجموع تندهش وتتعجب. نحن هنا أمام نوع من التعليم المسيحي الموجَّه إلى الذين اكتشفوا «اللؤلؤة الثمينة»، الرب يسوع وملكوته، والذين أصبحوا مستعدين أن يبيعوا كل شيء ليشتروها. حضور التلاميذ الموجَّه إلى الذين اكتشفوا «اللؤلؤة الثمينة»، الرب يسوع وملكوته، والذين أصبحوا مستعدين أن يبيعوا كل شيء ليشتروها. حضور التلاميذ أمام يسوع برهان على أن ذلك أمر ممكن، فقد سبق لهم أن اختاروا هذا الاختيار للسير وراء يسوع وتركوا كل شيء، الصيد وأهلهم، وتبعوه. في هذه العظة قواعد تصلح لكل إنسان في كل زمان ومكان.

إذا أردنا أن نقارن بين الأناجيل الأربعة نرى أن الإنجيلي لوقا يورد ما يوازي باختصار الموعظة على الجبل ويشتمل نصه (٦:٢٠–٤٩) على التطويبات ثم وصايا محبة الأعداء والرحمة ومصالحة الإخوة والخاتمة «من يسمع كلامي ويعمل به» يشبه رجلاً بنى بيته على الصخر. ويميل النقاد إلى اعتبار هذه الموعظة أقدم في الصياغة من تلك الواردة في إنجيل متى، ذلك ان علماء الكتاب المقدس يعتبرون النص الأصغر هو الأقدم. أما في ما خص موعظة إنجيل متى، فإن الإنجيلي أخذ النص الأقصر المعروف لدى الجماعات المسيحية الأولى وأضاف إليه الأقوالٍ والوصايا الأخرى التي كان قد علمها الرب أثناء بشارته ووردت عند الإنجيليين الآخرين في مواقع مختلفة، وجمعها متى في نص واحد طويل (متى ٥ و٦ و٧) بما يتناسب مع هدف إنجيله، الملكوت، والأسلوب الذي استعمله للوصول بالمؤمنين إلى هذا الهدف.

تذكرنا الوصايا الواردة في العظة على الجبل بالوصايا العشر التي أعطاها الله لموسى على جبل سيناء في العهد القديم. هناك كان موسى متلقياً للوصايا، أما هنا فيسوع هو المعطي، هو الله، والوصايا التي أطلقها هي المرشد الجديد لشعب الله لخلاصهم. هناك ظهر الله القدير في غيمٍ ورعد، وهنا الله تجسد إنساناً وتكلَّم معنا. في جبل سيناء أُعطيت الوصايا بنفحة سلبية: لا تفعل كذا وكذا، وهنا الوصايا ذات طابع إيجابي، تقتلع أو تجتث الفكر المظلم والإرادة الشريرة. لكن يجب أن نعي أن يسوع لا يلغي شريعة موسى بل يعطيها البُعد السامي المطلق. «لا تظنُّوا أني جئتُ لأنقضَ الناموسَ أو الأنبياءَ.ما جئتُ لأنقضَ بل لأكمِّلَ» (متى ١٧:٥). لذا نراه يطوّر الوصية «لا تقتل» لتصير «من قال لأخيهِ يا أحمقُ يكونُ مستوجبَ نارِ جهنَّم» (متى ٢٢:٥). لقد ساوى بين القتل الجسدي وبين القتل الروحي للآخر.

في الأعداد القادمة سوف نشرح بالتفصيل العظة على الجبل.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb